التناص الأسطورى فى شعر حسن طلب

إعـــداد

الباحثة/ نهلة فاروق سيد نصر
كلية الآداب- جامعة الفيوم

أ.د/محمد دياب محمد غزاوي
أستاذ الأدب العربي
كلية الآداب – جامعة الفيوم
رئيس قسم اللغة العربية

أ.م.د/ إيهاب محمد السيد المقراني
أستاذ مساعد البلاغة والنقد الأدبي
كلية الآداب – جامعة الفيوم

التناص لغة :

يرجع التناص فى اللغة إلى مادة نصص، ففى المعاجم العربية : نص الحديث أى رفعته إلى صاحبه ونص الشىء: رفعه وأظهره، وكما يرد التناص فى لسان العرب بمعنى الاتصال وتفيد الانقباض والازدحام،(١) ويبدو أن الدوال اللغوية (لمادة نصص) تنقلنا لمعانى: الاسناد والاظهار والانتصاب والاستقامة والاستقصاء، بجانب معنى التزاحم والتراكم الذين يقتربان من مفهوم التناص. والتناص سواء فى اللغة الانجليزية والفرنسية عبارة من اندماج لفظ (text) الدال على محور العملية الابداعية، مع لفظ (inter) الدال على شكل تلك العملية،" ولفظ (text) مشتق من الفعل اللاتينى بمعنى يحوك أو نسيج، وهو بذلك يوحى بسلسلة من الجمل والملفوظات المنسوجة بنيويا ودلاليا" (٢).

(١) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل،جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.، مادة نصص.

(٢) أحمد ناهم، التناص فى شعر الرواد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٤م.، ص،١٠.

التناص اصطلاحا

أولا : التناص فى النقد الغربى :

يرجع ظهور التناص فى الدراسات النقدية الحديثة إلى محاولة الخروج من قيود البنيوية والرد على مفاهيمها، حيث تعتبر أن النص بنية لغوية مغلقة على نفسه ومكتفية بذاته وقائم بنفسه بعيدا عن أثر يشير إلى المبدع أو رؤاه الفكرية .

وقد ظهر مفهوم التناص على يد الباحثة البلغارية (جوليا كرستيفا) بعد تأثرها بدراسات الناقد والمفكر الروسى (ميخائيل باختين) عن مفهوم الحوارية أو الصوت المتعدد.

فكان باختين أول من صاغ نظرية بأتم معنى الكلمة فى تعالق النصوص وتداخلها، وأطلق عليها مصطلح الحوارية، ولم يستخدم كلمة تناص نهائيا، مما يعنى أن المصطلح كان غائبا عنه، وقد كان يرى أن الحوارية أمر طبيعى لجميع الخطابات، فلا يوجد خطاب يخلو من خطاب آخر، فكل خطاب يتقاطع مع خطابات سابقة عليه بصورة ظاهرة أو خفية، " كما يعرف العلاقة الحوارية هو دخول فعلين لفظين، تعبيرين اثنين، فى نوع خاص من العلاقة الدلالية" [١] ، فبذلك فإن مفهوم (باختين) هو " نتيجة تراكمات سابقة، وبداية لواقع نصى جديد، نص بمثابة حلقة بين سابق ولاحق وتقاطع بين كل هذا، مما يعنى أن النص ما هو إلا موازييك من التنصيصات ذابت وتحولت آخذه من بعضها الآخر" [٢] .

ولكن مصطلح التناص ظهر بشكل واضح وجلى على يد (جوليا كرستيفا) التى تعد صاحبة هذا المصطلح، فقد طورت هذا المصطلح، حيث استبدلت مفهوم الحوارية بالتناصية، فالتناص عند جوليا كرستيفا من مميزات النص التى تحيل إلى نصوص أخرى سابقة أو معاصرة، فهى تنفى وجود نص خال من تداخل نصوص أخرى، فجوليا كرستيفا بذلك لا تعارض ارتباط النص بسياقه، ولا تتعارض مع البنيوية فى كون النص نظام لغوى إشارى ولكنه منفتح على شبكة معقدة من النصوص

(١) ميخائيل باختين– المبدأ الحوارى، تزفتيان تودورف، تر: فخرى صالح، الموسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م، صـ١٢٢.

(٢) أحمد ناهم، التناص فى شعر الرواد، صـ١٩.

الأخرى السابقة عليه أو المعاصرة التى سكنت نص المبدع وذاكرة القارئ، لذلك نجدها تعرف النص بأنه هو " لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى".(١)

ويواصل رولان بارت، وتزفتان تودرورف لما انتهت إليه جوليا كرستيفا، وأخيرا دراسات الناقد الفرنسى (جيرار جينيت) التى كانت أكثر استيعابا لمعظم مصطلحات التناص وأشكاله

ثانيا: النقد العربى القديم والمعاصر:

وقد وعى الشعراء العرب بعلاقة النص بغيره من النصوص، وانتبهوا لحقيقة اقتفاء أساليب السابقين ونصوصهما السابقة.

فقد ظهر لدى الشعراء العرب عدة مصطلحات نقدية وبلاغية منها، الاقتباس، والتضمين، والسرقة، والمعارضة، والمناقضة، هذه المصطلحات كانت شكلا من أشكال التناص، فقد اشتركوا كليهما مثل التناص فى فكرة انتقال المعنى أو اللفظ أو كليهما أو جزء منهما من نص إلى أخر.

وتعد هذه المصطلحات بذورا أولية لمصطلح التناص، ومن هنا يتبين لنا تأصل التناص فى الأدب العربى، فقد ظهر تحت مسميات نقدية تناسب عصوره القديمة، وعاد من جديد للظهور متأثرا بالدراسات الغربية الحديثة كمصطلح مستقل له أصوله ونظرياته وتداعياته .

عرف النقد العربى المعاصر مصطلح التناص منذ ثمانينات القرن الماضى من خلال التأثر والتواصل مع المدارس النقدية الأجنبية، فقد اعتمد النقد العربى المعاصر فى دراسته لمفهوم التناص على الدراسات الأجنبية، وحاول تطبيقها على الشعر العربى المعاصر، ولكن تعريف مصطلح التناص فى الدراسات العربية الحديثة قد عانى من تعدد الترجمات، فلم يقف على تعريف محدد له كالتناصية، والتداخل

(١) عبدالله الغذامى، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٨م، صـ١٥.

النصى، والتفاعل النصى، وتعالق النصوص، والنص الغائب، والنصوص المهاجرة، وغيرها.

والحقيقة أن هناك العديد من النقاد العرب المعاصرين الذين تناولوا التناص بالدراسة نظريا وتطبيقيا، ويعتبر الناقد الدكتور محمد مفتاح أكثرهم عملا على تطوير وإغناء هذا المفهوم، فقد حاول محمد مفتاح فى كتابه(تحليل الخطاب الشعرى إستراتيجية التناص) أن يعرض مفهوم التناص اعتمادا على طروحات كريستيفا وبارت، وفى تعريفه للتناص عرض تعريفات هؤلاء النقاد وغيرهم، ثم خلص إلى تعريف جامع التناص هو تعالق (الدخول فى علاقة) مع نص حديث بكيفيات مختلفة .

وبذلك يمكن القول: إن التناص هو تأثر نص بنص آخر وتعالقه معه، فلا يوجد نص مطلقا خال من التأثر بالنصوص السابقة عليه أو المعاصرة، فكل نص يتعالق مع التراث الإنسانى فكرا ودينا وتاريخا وأدبا وأساطيرا، فلا يستطيع الشاعر أن ينفصل عن هذا التراث الإنسانى الذى تشرب ثقافته، ونمى فكره فى رحابه؛ لذا يعد النص هو الحصيلة الثقافية لرحلة الشاعر عبر حياته كلها.

التناص الأسطورى

أضحت الأسطورة اللبنة الأولى فى بناء القصيدة المعاصرة، احتضنها الشعر العربى، وعدها المسلك الوحيد للتعبير عن خيبات المجتمع وهمومه وكروبه؛ لما تقيمه من لغة رمزية استعارية، معبرة غير مفصحة عن مكنوناتها؛ ولهذا وجدنا الشعر ضاربا بجذوره فى هذا المذخور الثقافى من الأساطير، مستفيدا من مختلف الثقافات العربية والغربية .

الأسطورة لغة واصطلاحا

الأسطورة لغة : من الفعل سطر، والسطر: الصف من الكتاب والشجر والنخيل، والأسطورة هى الأحدوثة، والأساطير الأباطيل، وأحاديث لا نظام لها، واحدتها إسطار وإسطارة بالكسر، وأسطور وأسطورة بالضم ، وقد وردت فى القرآن

الكريم بصيغة الجمع فى قوله تعالى : " **يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**"(١) .

والأسطورة اصطلاحا : الأسطورة فى الإنجليزية (Myth)، وفى اليونانية (Mythos)،وتعنى القول أو" الكلمة المنطوقة، ثم تحدد استعمالها، فأصبحت تعنى الحكاية التى تخص الآلهة وأفعالهم ومغامراتهم". (٢)

وقد تعددت المفاهيم حول الأسطورة " ولكن أبسط هذه التعريفات وأكثرها عمومية وشمولية هو مفهوم " باور " الذى يرى أن : " مفهوم الأسطورة يشمل كل ما ليس واقعيا، أى كل ما لايصدقه عقل، فكل قصة تعتمد على أسس غير عقلية، أو تبرر بمبررات غير عقلية لا يكون ثمة شك فى أنها نتاج لخيال أسطورى " (٣) .

الأسطورة فى الشعر المعاصر

يعد " إليوت " الشاعر الإنجليزى الأمريكى الأصل، أول من تنبه إلى أهمية الأسطورة فى الشعر، إذ كان يؤمن بأن الكاتب" لا يعبر عن آرائه تعبيرا مباشرا بل يخلق عملا أدبيا فيه مقوماته الفنية الداخلية التى تكفل – فنيا – تبرير الأحاسيس والأفكار للإقناع بها، بحيث لا يحس المرء أن الكاتب يفضى إليه بذات نفسه بإثارة المشاعر المباشرة " (٤) ، وبهذا وجدنا الأدباء الغربيين منفتحين على أساطير العالم القديم، حيث كانوا أكثر ميلا للتجديد والتطوير.

وكانت النكبات والعراقيل التى واجهها المجتمع العربى بعد الحرب العالمية الثانية من أقوى العوامل التى دفعت بالشعر العربى تجاه التأثر بالشعر الغربى والاحتذاء بهم بخاصة إليوت ومنهجه الأسطورى، حيث أرادوا تشكيل نتاج شعرى

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٢٥. .

(٢) نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، صـ ١٠ .

(٣) على عشرى زايد ، استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، صـ١٧٥ .

(٤) محمد غنيمى هلال، النقد الأدبى الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر التوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥، صـ ٣٠٧،٣٠٦ .

يتسم بقدر من الموضوعية، بعيدا عن الرومانسية، معبرا عن كافة الأحداث الاجتماعية والسياسية فى تلك الفترة .

وقد فتن الشاعر المعاصر بالأسطورة مستعينا برموزها وشخصياتها فى التعبير عن عالمه وحاضره، وما يحمله من انكسارات حضارية، بعد أن جردها من مغزاها الأسطورى، وأضفى عليها مضامين جديدة، مستفيدا من دلالاتها، ومن ثم توظيف الأسطورة إذن يحمل مستويات عديدة من التأويل، وكل هذا قد أحيا التجربة الشعرية، وترك تأثيرا قويا على المتلقى الذى راح يبحث مع الشاعر عن بديل آخر أفضل لهذا العالم.

" وبهذا أضحت الأسطورة بمثابة القناع والرمز لمرموزات حديثة، وقضايا طارئة؛ فبات يحتاجها الأديب المعاصر، ويتلاعب بشخوصها ولغتها، تياها بين فضائها، لا يكل الحركة أو المسير" [١] .

ونجاح الشاعر فى اختياره للأسطورة يتوقف أولا على : مدى استيعابه لكل أبعاد الشخصية الأسطورية التى يتمثلها، وثانيا : على قيمتها الأسطورية ومدى قابلية مضامينها لاكتساب معنى جديد، " فنظرية المحاكاة تفترض المضمون والملاءمة للقيم الحضارية الجديدة "[٢] .

وقد تحولت الأسطورة من كونها نوعا أدبيا، وقصة ميثولوجية، إلى أنها طائفة متكاملة من الرموز القادرة على تجسيد نظرة الإنسان وأفكاره عامة والشاعر خاصة تجاه الواقع وأحداثه، بل صار منهجا أدبيا متبعا فى دراسة النصوص الأدبية.

الأسطورة فى شعر حسن طلب

أدت الأسطورة دورا كبيرا فى شعر حسن طلب؛ حيث جاءت فى شعره تعبيرا عن الهموم الاجتماعية والإنسانية والأحداث السياسية التى مر بها الوطن العربى عموما، ومصر خصوصا على امتداد تاريخها منذ فترة السبعينيات وحتى الآن .

---

(١) عبدالعاطى كيوان، التناص الأسطورى فى شعر محمد إبراهيم أبو سنة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، صـ١٩.

(٢) رمضان الصباغ، فى نقد الشعر العربى المعاصر (دراسة جمالية)، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، الأسكندرية، ٢٠٠٢، صـ ٣٤٤

" فكان حسن طلب من جيل الشعراء الذين ظهروا فى الزمن الميت أو الأرض الخراب، أى فى السنوات التى أعقبت هزيمة يونيه، فنجدهم ينظرون إلى المجتمع كما ينظر الأبناء إلى أب بدد ثروة العائلة وخدعها بسراب الأمانى، ومعسول الكلام، حتى وقعت الواقعة، وجاءت قصيدتهم تشبه تعليقا على العالم الذى لا يخلو من الانفعال، وقد يتسم بالرفض حينا كما يتسم بالقبول فى معظم الأحيان، ولكنه دائما انعكاس مباشر للعالم يستند إليه ويتطفل عليه "[١] .

وقد حفلت دواوين الشاعر حسن طلب بالأساطير على اختلاف أنواعها : العربية والبابلية واليونانية، فوجد فيها المنفذ لتجسيد مخاوف الإنسان وطموحاته، وبخاصة الأساطير البابلية وما تحمله من رموز الموت والانبعات، والأساطير اليونانية التى تجسد معاناة الإنسان وصراعه المتواصل .

وجاء استخدام حسن طلب للأسطورة بأشكال متعددة، فإما أن يشير إشارة عابرة للأسطورة والشخصية الأسطورية، وأما أن يجعلها جزءا من قصيدة، أو تكون محور قصيدة كاملة أو ديوان كامل، كما تنوع فى توظيفها بين توحده بالشخصية الأسطورية وتقنعه بها، وبين مزجه للأساطير، وأيضا التحوير فى مضامينها وإضفاء مضامين أخرى .

<u>ميـــدان الدراســـة</u>

اعتمدت فى هذه الدراسة على الأعمال الشعرية لحسن طلب التى أصدرها من المجلس الأعلى للثقافة، وضمت جميع دواوينه.

- المجلد الأول ويضمن دواوين : (وشم على نهدى فتاة، شموس القطب الآخر، أزل النار فى أبد النور، باب الصبابات.. فصل الخطاب، لا نيل إلا النيل).
- المجلد الثانى ويضمن دواوين : (سيرة البنفسج، زمان الزبرجد، مواقف أبى على، آية جيم، طهطا البيت.. طهطا القبر، غاية المراد فى زاد المعاد).
- المجلد الثالث ويضمن دواوين : (يكتب الباء.. يقرأ الجسد، حجر الفلاسفة، شىء عبر لا شىء، قربان لإله الحرب، متتالية مصرية، مرحى يا أبناء الفصحى).

---

(١) ماهية الشعر (قراءات فى شعر حسن طلب)، صـ٦٥، ٦٦ بتصرف .

- إنجيل الثورة وقرآنها : (١- آية الميدان)؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م .
- إنجيل الثورة وقرآنها : (٢- إصحاح الثورة)؛ المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

منهـج الدراســة

اعتمدت فى هذا الدراسة على المنهج الوصفى التحليلى، حيث يقوم هذا المنهج بتحليل مكونات البنية النصية، وتحليل دلالتها الفنية، وكشف العلاقات القائمة بينها وبين النصوص السابقة لها، والوقوف على الطريقة التى تم بها التفاعل مع النصوص الأخرى وبناء النص الجديد.

الدراســات الســابقــة

إن ظاهرة التناص الأسطورى فى شعر حسن طلب على وجه التعيين لم يتم دراستها دراسة معمقة ومستقلة، بل إن الدراسات حول شعر حسن طلب بوجه عام كانت قليلة، وهى :

١. التناص فى شعر شعراء السبعينيات، فاطمة قنديل، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.
٢. البناء الفنى فى شعر حسن طلب " دراسة أسلوبية "، مروة عدلى محمد محمود، رسالة ماجستير، جامعة حلوان، ٢٠١٥م.
٣. ماهية الشعر (دراسات فى شعر حسن طلب)، جمع : د.سعيد توفيق، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م .
٤. شعر حسن طلب (دراسة فى الإيقاع)، عزة جدوع، مكتبة ابن سينا، ٢٠٠٢م .
٥. الإيقاع فى شعر الحداثة (دراسة تطبيقية على دواوين فاروق شوشة، إبراهيم أبو سنة، حسن طلب، رفعت سلام)، محمد علوان سالمان، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
٦. الخطاب الشعرى فى السبعينيات دراسة فنية ودلالية، أحمد محمد الصغير المراغى، تقديم: مصطفى رجب، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م .

٧. قصيدة الحداثة فى مصر فى شعر السبعينيات، عبد الله السمطى، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس ، ١٩٩٨م .

❖ **التناص الأسطورى فى شعر حسن طلب**

أولا : الأساطير العربية :

شغف الشعراء بالأساطير العربية، واستطاعوا توظيفها فى أشعارهم، وقد كانت من أهم مصادر هذه الأساطير العربية : المصدر الدينى، والمصدر الفولكلورى ، فيقول " د. على عشرى زايد " عن تلك المصادر : " قد استمد الشعراء الملامح الأسطورية لبعض الشخصيات من الديانات الأخرى، أو مما أدخله بعض المفسرين المسلمين فى تفاسيرهم من مرويات أسطورية، أما تراثنا الفولكلورى، فقد حفل بعدد من أبطال الحكايات الخرافية الذين يحملون ملامح أسطورية كشخصية السندباد، وشخصية علاء الدين، وشخصية سيف بن ذى يزن وغيرهم "[١] .

❖ **أساطير ألف ليلة وليلة :**

- **أسطورة السندباد :**

تعد شخصية السندباد[٢] من الشخصيات الأسطورية الخيالية فى حكايات ألف ليلة وليلة، التى احتفى بها الشعراء كثيرا فى أشعارهم، وطار لبهم بها؛ لكثرة ما حظيت به من دلالات ومضامين جديدة، وأبدع الشعراء فى تطويعها فى شتى أغراضهم الشعرية .

وكان حسن طلب من بين هؤلاء الشعراء الذين أكثروا من استخدام شخصية السندباد فى أشعارهم، وحشد من مضامينها ومدلولاتها كثيرا، فلا نكاد نجد قصيدة من

---

(١) استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر ، صـ ١٨٣ بتصرف

(٢) شخصية أسطورية من شخصيات ألف ليلة وليلة ، وهو بحار من مدينة البصرة ، عاش فى فترة الخلافة العباسية ، وقام السندباد بسيعة سفرات ، وزارالكثير من الأماكن السحرية، لقى فيها المصاعب والأهوال، واستطاع النجاة منها بصعوبة، حيث كان يهوى المغامرات، والرغبة فى كشف المجهول . ألف ليلة وليلة ، المجلد الثالث ، طبعه : سعيد على الخصوصى ، المطبعة السعيدية ، صـ ٨٠ ،٨١، ٨٢ ، ٨٣.

قصائده، ولا ديوان من دواوينه إلا وشخصية السندباد حاضرة بين ثناياه، تلعب دورا فى إبراز غرضه الشعرى.

ومن القصائد التى وظف بها شخصية السندباد قصيدة " هدية الوداع الأخير " من ديوان " وشم على نهدى فتاة "، حيث يقول: [1]

رتقت أثقاب الشراع
بدأت رحلتى الجديدة
همست – إن أردت – هذه القصيدة
وقبلتا وداع
هما هديتى إليك قبل أن يلفنى الضياع
.....
وحينما رسوت ... قلت قد وصلت
إلى نهاية الدروب المقفلة
قطفت من حديقة الأسى : قرنفله
أقعيت من خلف سورها

استلهم الشاعر شخصية السندباد فى هذا المقطع؛ للتعبير عن حالة الضياع والحطام والتيه التى يغرق فيها الوطن تحت وطأة الاحتلال، وعن مدى اليأس الذى تفشى فى نفسه، واستسلامه للأسى والحزن والخيبة، فقد اتخذ منها معادلا موضوعيا لنفسه، فنخده يخوض رحلة طويلة فى غمار المجهول؛ آملا فى إيجاد ملاذٍ ينتشل الوطن من هذه الدوامة المريرة، دوامة الحزن والأسى، ويأذن بحلول الخلاص المرتقب، ولكن رحلته باءت بالفشل، ورجع خائب المنال. وبهذا نجده قد حور فى مضمون الأسطورة، فالسندباد بعد رحلته الطويلة ومعاناته الكبيرة رجع إلى بغداد محملا بالجواهر، كما جاءت تراكيبه دالة على معنى الضياع واليأس الذى تشبعت به نفسه، من مثل : (هما هديتى إليك قبل أن يلفنى الضياع، قطفت من حديقة الأسى : قرنفلة ، أقعيت من خلف سورها) .

---

[1]. ديوان حسن طلب ، المجلد الأول ، صـ ٥٢ ،٥٤ .

يدل لفظ (قرنفلة) : على أن الوصول إلى نهاية هذه الدروب المقفلة، والخروج من هذه المآسى، وإيجاد الملاذ والخلاص مازال لم يحن موعده، " فزهرة الفرنقل هى زهر جميل يؤجل رحيقه، فهو الزهر المؤجل ، وتستخدم فى الشعر كرمزية تدل على التأجيل إلى موعد ما، هو موعد مع الرحيق، والنمو الفائض بالجمال " [١] .

- **أسطورة على بابا والأربعين حرامى[٢] :**

تتضح هذه الأسطورة فى قصيدة " أزل النار " من ديوان " أزل النار فى أبد النور "، عبر استخدامه لعبارة " افتح يا سمسم " التى كانت كلمة السر فى أسطورة " على بابا " ، حيث قال: [٣]

لكنك تسألنى
عن بيضة ديك الأبدية
أو عن قشدة لبن العصفور !
كاف ... ... نون
افتح يا سمسم
ينفلق القمقم
عن " شمهورش " .. أو " ميمون " !

---

(١) رمزية الزهور فى الشعر العربى المعاصر ، باسل عبدالعال ، جريدة القدس العربى ، مارس ، ٢٠١٥م.

(٢) تدور الأسطورة حول شخصية على بابا ، تلك الشخصية الفقيرة الذى كان يعمل حطاباً ماهراً ، يذهب كل صباح إلى الغابة، ويقطع الأخشاب ويحملها على حماره، ويبيعها فى المدينة، ويشترى طعاماً لأسرته ، وذات مرة ذهب إلى الغابة، وشاهد أربعين فارسا يذهبون إلى صخرة كبيرة، ورددوا كلمة " افتح يا سمسم "، فانشقت الصخرة، وتحولت لكهف، وعند خروجهم من الكهف رددوا اغلق يا سمسم فتحولت لصخرة مرة ثانية ، وإذا بـ " على بابا " يردد كلمة السر، ويدخل الكهف، ويجد به كميات لا تحصى من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، فعرف أنهم لصوص وليسوا فرسان ، وملئ جيوبه من هذه المجوهرات ، وعاد إلى بيته .

(٣) ديوان حسن طلب ،المجلد الأول ، صـ ٣٠٠.

استخدم الشاعر هنا كلمة السر " افتح يا سمسم " فى أسطورة " على بابا "؛ ليفتح بها القمقم، ويخرج منه " شمهورش " [١] و " ميمون " [٢] أحدى ملوك الجن، وتداخلت فى هذا المقطع أساطير عدة، أسطورة " على بابا " و " أسطورة القمقم " و" شمهورش " و " ميمون " ملوك الجن، واستعان بها الشاعر؛ مدللا بها على أن ما يتمناه من عودة مصر لمكانتها واستقرارها ورخائها، والوصول بها إلى الأبدية، هى أشياء تحتاج إلى قوى خارقة لتحقيقها، فنجد هنا " رصد القصر المسحور" تستجيب له، وتساعده فى البحث عن محبوبته " نجلاء " التى هى بدورها " مصر "، وتحاول تحقيق حلمه للوصول إلى الأبدية، عبر شمهورش وميمون ملوك الجان.

❖ **أسطورة توحد المرأة بالحية والشيطان** [٣] :

تتبدى هذه الأسطورة فى العديد من المواضع عند حسن طلب، ومن هذه المواضع، قصيدته " البنفسجة الخؤون " من ديوان " سيرة البنفسج ":[٤]

---

(١) شمهورش : هو من أكبر ملوك الجان المسلمين، فهو من أشد الموالين للاسلام، ويرتدى اللون الأخضر، وهو موكل من جميع ملوك الجان بعقد المحاكمات للفصل بين الجن والانس، ويسكن فى بلاد المغرب العربى .

(٢) ميمون : هو أقوى الملوك الأرضيّة المولع بلبس الأحجار الكريمة، ومعروف بقوّته وشراسته في الحروب ، ويقال أنه خادم يوم السبت وسورة الهمزة في القرآن الكريم ، وأنّه يعيش في بابل في العراق لارتباطه بروايات الحضارة البابليّة .

(٣) تدور الأسطورة حول فكرة توحد المرأة بالحية ، التى تتوحد بالشيطان حين تسلل إبليس إلى الجنة، ونجدها فى أغلب الأساطير العربية والسامية ، فنجدها فى الأساطير العربية حين وسوس الشيطان لحواء – من فم الحية – بالأكل من الشجرة المحرمة أو الممنوعة ، وأيضا حين أغوى الشيطان زوجة البطل مثلما حدث مع زوجة نوح حين مكنته من تخريب الفلك ثلاث مرات، وكذلك فقد تسلل الشيطان إلى الفلك خلال الطوفان عن طريق زوجة نوح ، وفى الأساطير السامية نجدها حين وسوس الشيطان لأمراة لوط حين هجر لوط قومه ، وفر مهاجراً ومعه أهل بيته ، فأرسل العذاب على مدينة (سدوم) حين سمعت المرأة أصوات خراب المدينة ؛ فصرخت : واقوماه ، فتحولت إلى عمود ملح . وعلى هذا فإن الثلاثة : المرأة والحية والشيطان ما هم إلا وجهاً واحداً لنفس البطل . شوقى عبدالحكيم ، مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٨٧ ، صـ ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٤) ديوان حسن طلب ، المجلد الثانى ، صـ ٨٥، ٨٦ .

تلك بنفسجة مخصوصة
رصدت لامرأة
كاذبة
وعواطف منكوصة !
وأنا لا أعرف :
هل أتركها تتفتح كاللوحة
أم تتواتر
كالأقصوصه!
تلك هى اللوحة :
شيطان خطار
خلف إطار
يشهر فى وجه الناظر قبحه !
وسمادير ..
ولون يفصد فوق اللوحة قيحه !
وخطوط عكس الحب
تميل ..فتثقب قوقعة القلب
وتنكأ جرحه !

يتضح من الأبيات استعانة الشاعر بأسطورة توحد المرأة بالشيطان؛ رامزا بها لحالة القبح، والوباء، والعفن الذى سرى فى كل أرجاء مصر على يد الاحتلال، فقد ارتضت بالسقوط فى هذا الليل الحالك، رافعة راية الهوان والذل، بعد أن كانت متوجة، مزينة بالخضرة، تملؤها رائحة الأزهار، فيستعين بفكرة توحد المرأة بالحية والشيطان التى تناولتها أغلب الأساطير العربية والسامية، حين أغوى الشيطان حواء بالأكل من الشجرة المحرمة، أو حين أغوى لزوجة نوح، فمكنته من تخريب الفلك ثلاث مرات، ولذا شاع أن الحية والشيطان والمرأة ما هى إلا وجه واحد لنفس

البطل[١] ،أراد بها الشاعر أن يخرج مصر فى صورة امرأة لعوب، خائنة، كاذبة، تتلاعب به وبمشاعره وعواطفه، شيطانة تظهر قبحها، وسوءاتها، ودنسها لكل من نظر إليها، تلك المرأة التى فقدت عطرها وجمالها، وأخذت فى القبح شيئا فشيئا، حتى صارت بومة .

" ففى هذه الديوان نجد تجربة الحب مسيطرة على الشاعر، وتلون نظرية الوجود والطبيعة من حوله، ولكن هذه الحالة فى النهاية تتكشف فى مجملها كمظهر كاذب زائف، فيجد أن هذا الحب متغير متقلب، والأنثى تخون، فينصرف حانقاً متأسيا عن تلك التجربة الخادعة التى لم يجد فيها بغيته، وهكذا يكفر بتجربة الحب كحالة مطمئنة، ويرى تجربة الشعر الذى يتغنى بالأنثى على أنها تجربة فى الشعر المخنث" [٢] .

❖ **أسطورة خلق حواء** [٣] :

تتضح هذه الأسطورة فى قصيدة " ولادة " من ديوان " يكتب الباء .. يقرأ الجسد"، حيث يقول: [٤]

فخففت إلى ضلع منه ..
تلطفت ..
وجئت بقبضة نور
ثم أضفت إليها قبضة نار
وقطفت قليلا

(١) مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية ، صـ ١٣٣ ،١٣٤ .

(٢) ماهية الشعر (قراءات فى شعر حسن طلب) ، صـ٣٢ ،٣٣، ٣٤، ٣٥ بتصرف .

(٣) تقول الأسطورة – كما ذكرت كتب التفسير والأساطير– بعد أن ألقى على آدم النعاس ، تم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ، ولأم مكانها لحماً ، وآدم نائم لم يهب من نومته ، حتى خلق الله من ضلعه زوجته حواء ، فسواها أمراة يسكن إليها ، فلما كشف عنه النعاس وهب من نومه ، رآها إلى جنبه ؛ فقال : لحمى ودمى وزوجتى ، فسكن إليها . محمد عجينة ، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها ، العربية محمد على للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٤ ، صـ ١٨٢، ١٨٣ .

(٤) ديوان حسن طلب ،المجلد الثانى، صـ ١٩ ،٢٠ .

من زبد البحر
وبعض رحيق من أزهار
حتى ينضبط قوام المادة !
وكذلك تم بهاء الهيئة
بين يدى
فسلطت عليها وهجا
من شبق الشمس
ورهجا من نزق الريح
نفخت بها من روحى
ثم تعطفت ..
فأسميت المخلوقة :
" ولاده " !

يتحدث هذا الديوان – كما يقول أحمد عبد المعطى حجازى– "عن سيرة الجسد منذ تشكله مرورا بابتذاله وتحوله، وكأن هذا الديوان تمثيل لهذه الديانة القديمة التى كان الجنس جزءا من طقوسها، فالفعل الجنسى طقس وانفعال بالطبيعة وبما حولها "[١] ؛لذلك كان على الشاعر استحضار أسطورة خلق حواء؛ تمهيدا للبدء فى الحديث عن سيرة الجسد وابتذاله بعد خلقه، وما قابله الجسد طيلة حياته من ممارسات قهرية، وخضوعه لمجموعة من القوانين الاجتماعية، والمفاهيم التى ابتذلته، واستغلته، وأفقدته معناه .

ونلاحظ فى هذا المقطع أن الشاعر أضفى تحويرا على الأسطورة، حيث جعل المخلوقة " ولادة " وليست " حواء "، وهى ولادة إبنة الخليفة الأموى المستكفى بالله، فقد دلت عليها مقدمة الديوان حيث يقول : " إلى حواء من آدمها، وإلى ولادة من ابن زيدونها "، وأقام هذا التحوير؛ ليدلل على أن المرأة هى التى توقع بالرجل فى

(١) أحمد عبدالمعطى حجازى ، فى الندوة المقامة لمناقشة الديوان ، الاهرام المسائى ، يونيو ٢٠١٠ ، ع ٦٩٨٢ .

الخطيئة ، حيث أنه جعلها فى الديوان هى الفاعلة وليس موضوعا للفعل، فقد عرفت ولادة بالمجاهرة بلذاتها، واشتهرت ببيتين، هما : [١]

وأنـا والله أصـلـح للمـعـالـى وأمشى مشيتـى وأتيـه تيها
وأمكـن عاشقى من صحن خـدى وأعطى قبلتـى من يشتهيـها

❖ **أسطورة مارد سيدنا سليمان والقمقم[٢] :**

تظهر فى قصيدة " شيطان ونبى " من ديوان " مواقف أبى على وديوانه رسائله وبعض أغانيه "، يقول: [٣]

شيطان ..
يتقلقل فى القمقم ..
حتى ينطلق
ويصبح حرا
ليعربد فى !

جعل الشاعر هنا الشيطان الذى تراءى له فى المنام معادلا موضوعيا بمارد سيدنا سليمان الذى خرج من قمقمه بمساعدة الصياد، كذلك هذا الشيطان يحاول أن يحطم قمقمه وقيوده ويخرج من محبسه، ويصبح حرا .

ثانيا : الأساطير اليونانية :

" زخرت الأساطير الأغريقية بعنصر الخيال الذى يستطيع بما يحويه من ثراء وجمال أن يمارس تأثيره على المشاعر الإنسانية فى كل عصر وأوان، فلقد تأثر الكتاب والفنانون على مدى الأجيال بالأساطير الإغريقية، فلا نكاد نجد عملا أدبيا أو فنيا واحدا يخلو من تأثيرها ".[٤]

---

(١) جلال الدين السيوطى، نزهة الجلساء فى أشعار النساء، مكتبة القرآن للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، صـ٨٧.

(٢) ألف ليلة وليلة ، المجلد الأول ، طبعه : مكتبة محمد على صبيح ، صـ١٤ ،١٥ ،١٦ .

(٣) ديوان حسن طلب ، المجلد الثانى، صـ ٢٥٦ .

(٤) عبدالمعطى شعراوى ، أساطير إغريقية (أساطير البشر) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥، صـ٥

وتدور الأساطير اليونانية حول تاريخ اليونان وحضارتها وحروبها كحرب طروادة، ونشأة الآلهة وصراعاتهم مع بعضهم ومع الإنسان كخلقهم للبشر الضعيف، وعقابهم لـ " بروميثيوس " المنصف للبشر ،وعلى هذا فقد احتوت الأساطير اليونانية على العديد من المآسى والصراعات، التى استطاع الشعراء توظيفها واستغلال رموزها المتعددة .

❖ **أسطورة " بروميثيوس " :**

استخدم الشاعر حسن طلب أسطورة بروميثيوس[١] فى أكثر من موضع، ومن بين هذا المواضع قصيدته " بروميثيوس عجوزاً "، التى كتبت فى ظل نكسة يونيو ١٩٦٧، والتى نتج عنها احتلال سيناء وفرض السيطرة الاسرائيلية عليها، فجاءت هذه القصيدة تنديداً بالعدوان الإسرائيلى، وبالضعف والعجز الذى لا يفارق الشعب المصرى ، يقول حسن طلب: [٢]

وأنا معصوب العينين
مطلى بالعار ...
من الرأس إلى القدمين
ومدنسة بالرجس يداى !
يا من تسأل عنى
عن زنزانة شعرى .... عن منفاى
هذا وجهى شاخ
وتلك عصاى

(١) هو ابن التيتان إبابيتوس والربة ثيميس ، وكان يعتبر أعظم محسن عرفه البشر ، وبطل الأموات ضد دكتاتورية زيوس ، سرق لهم النار ، فتقدمت علومهم وفنونهم ، وأدى ذلك بعقاب بروميثيوس من الإله زيوس ، فشد وثاق بروميثيوس إلى الصخرة فوق جبل القوقاز ، حيث كان يتعيش نسر على كبده بالنهار ثم يسترجعه بروميثيوس من جديد بالليل ، وفى النهاية أطلق هرقل سراحه بقتل النسر . انظر : أمين سلامة ، معجم الأعلام فى الأساطير اليونانية والرومانية ، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ ، ص ١٠٠ .

(٢) ديوان حسن طلب ، المجلد الأول، صـ١٠٦ ،١٠٧.

أتوكأ عليها فوق تضاريس العمر
وأهش بها قطعان الماعز !

يتضافر فى هذا المقطع نوعان من التناص : التناص الدينى، والتناص الأسطورى؛ لتشكيل لوحة فنية، تحمل صور مكتنزة بالأوجاع، وتأنيب الضمير، والإحساس بالخزى، والعار الملطخ به المصرى، من رأسه إلى قدميه، تجاه وطنه .

فنجد التناص الدينى فى أبياته (وتلك عصاى – أتوكأ عليها فوق تضاريس العمر– وأهش بها قطعان الماعز) مشيرا إلى الآية القرانية فى سورة طه " وهى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى"[١] ، ويتمثل التناص الأسطورى فى أسطورة بروميثيوس، التى صرح بها فى عنوان قصيدته، ويرمز بهذه الشخصية إلى الشعب المصرى، الذى لا يملك قدرا ضئيلا من القوة؛ لكسر حاجز الخوف، ومجابهة الأعداء ، وتغيير الواقع .

فإذا به نجده يتقمص شخصية بروميثيوس، فذاك بروميثيوس المنفى فى زنزانة أشعاره، غير قادر على افتكاك القيود التى كبلته، ولا يستطيع اجتياز هذه الزنزانة، والانتصار على عجزه وخوفه وضعفه فى سبيل مواجهة بطش العدو وطغيانه، وإنقاذ وطنه من الانهيار وسفك الدماء حتى صار شيخا هرما، كما نجد تحويرا فى مضمون الأسطورة، عبر لفظ (معصوب العينين) ولفظ (مسمول العينين)، اللذان حلا محل (نهش الكبد) فى أصل الأسطورة، ومن ثم تظهر فى طيات هذا كله صور متناقضة، وأفكارا مشوشة، ومختلطة، فطورا هو مقيد لا حول له ولا قوة ومعصوب العينين، وطورا آخر يهش بعصاه قطعان الماعز .

ولكن رغم غرق واقعه فى غياهب الظلام، إلا إننا سرعان ما نلمحه يجدد الأمل، وتشع روحه بالأمل والتفاؤل، ويشرق مستقبل جديد، ويطوى صفحة الماضى الأليم، من خلال استناده على دلالة الموت والانبعاث من جديد التى برزت فى الأسطورة، عبر استرجاع بروميثيوس ليلا كبده، الذى ينهش نهارا، فى قوله : [٢]

(١) سورة طه، الآية ١٨.

(٢) ديوان حسن طلب ، المجلد الأول ، صـ ١٠٨ .

أدفن أشعارى فى قبر مسدود
تتحلل أشعارى
يأكلها الدود !
يلد الدود بروقا ورعود
وأزاهير حياة وورود

كما نجده فى هذا المقطع يشير إلى فكرة سرقة بروميثيوس النار، وإعطائها للبشر، من خلال قوله: (١)

ينتصب المارد فوق الأخدود
يصعد نحو القمه
يعرج نحو سماوات الآلهة السكرى
يسرق نجمه !
ينسل المارد تحت ستار الظلمه
يهبط للأرض المقرورة ..
بين هتافات جمه
يندس المارد بين الزحمه
يضع النجمه !
ينصهر الثلج الرابض فى شريان الرض
وتنطفئ العتمه

ذكر الشاعر فى هذا المقطع فكرة سرقة بروميثيوس النار، وأحضرها إلى الإنسان على الأرض، فمهد لهم بالنار الطريق؛ لتقدمهم وعلومهم وفنونهم، بعد أن وجد اعتداء الآلهة على حقوق البشر (٢) . وبذلك جعل سبب منفاه فى زنزانة أشعاره، وتكبيل ساقيه، وسمل عينيه هو غضب من الحاكم وحاشيته؛ نتيجة

(١) المرجع السابق ، صـ ١٠٨ ،١٠٩ .
(٢) معجم الأعلام فى الأساطير اليونانية والرومانية ، ص ١٠٠ .

لمحاولاته فى إزالة ستار الظلمة والعتمة، وفى انفجار ينابيع الحياة فى شرايين الأرض .

" فنصبح فى هذه القصيدة أمام حرب يواجه فيها العقل بالجنون، السلطة المؤسسية بالهامش، الواحد بالمتعدد ، بحيث نبقى دائما – وفى سياق دائرة لا مفر منها – ليس أمام كفتين بالمعنى المعروف، وإنما أمام ترسين متعاشقين يدور كل منهما عكس اتجاه الآخر، ولا يملكان الانفلات، فما يمكن عمله هو دفع هذا الأختلاف إلى أقصاه، بمعنى دفع ذلك المهمش لإبراز التناقض الذى ظل مسكوتاً عنه "[١] ، وهذا ما فعله حسن طلب فى هذه القصيدة .

❖ **أسطورة طروادة :**

استحضر حسن طلب " أسطورة طروادة " [٢] فى قصيدة " ملحمة الحرب والسلام " من ديوان " شموس القطب الآخر "، التى واجهها الشاعر " إلى ضحايا أيلول الأسود من الفلسطينيين "، على يد قوات الملك حسين عام ١٩٧٠" ، يقول : [٣]

المشهد : طروادة
كانت أرض اليونان تفيض رخاء وسعادة
لكن كان العالم كالعادة :
موكب حرب ... حفل إباده !
كانت أمواج البحر الغضبانة
تضرب شطآنه !

---

(١) فاطمة قنديل ، التناص فى شعر شعراء السبعينيات ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٨، صـ ١٩٠ بتصرف .

(٢) حرب طروادة ، من أشهر الحروب فى التاريخ ، كانت بين الأغريق والطروادين التى نشبت تبعا لهروب " هيلين " زوجة " منيلاس " ملك الأغريق مع " باريس " أبن ملك طروادة ، فابتدع الأغريق حيلاً كثيرة لاحتلال مدينة طروادة وتدميرها ، عبر صنعهم للحصان الخشبى الذى ملأه الأغريق بالجنود ، ودخل الحصان مدينة طروادة ، وخرج الجنود من داخله واحتلو المدينة . عبدالمعطى شعراوى ، أساطير إغريقية (أساطير الآلهة الصغرى) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، صـ ٢١١ ومابعدها ، بتصرف .

(٣) ديوان حسن طلب ، المجلد الأول، صـ ١٥٠ ،١٥١ .

كانت " هيلانة "

الإنسانة .. والشيطانة

نعسانة

فى حضنك يا " باريس " !

حسن .. فلتكظم عيظك يا " عوليس "

ولتحرث شاطئك الضحل !

تنقل لنا القصيدة مدى تأثر الشاعر بهذا الحدث الجلل، وتألمه لما يدور فى عالمه من أحداث ، كأى أنسان وجب عليه التألم لهذه الأحداث الماثلة أمام أعين العالم، هذا العالم الذى تحول لساحات صراع وموكب إبادات واقتتال، وغدا أرضا للمآسى والعذاب، متناسيا الإنسانية والإنسان الضعيف المقهور، الذى طالما عانى ولا يزال مستسلما لشقائه الأبدى الذى لا ينتهى، وفى إطار هذا نجده يذكرنا ببعض الصراعات الدامية فى العالم، المتبعثرة فى صفحات التاريخ، بدءا من حرب طروادة، والهجوم النووى على هيروشيميا، وصولا لصراع الأردن وفلسطين،

استعان الشاعر بأسطورة حرب طروادة مع الأغريق بتفاصيلها كاملةٍ ، تلك الحرب التى استمرت عشرة أعوام من الدمار والخراب والهلاك، فها هى تلك المدن المعروفة بالثراء والذاخرة بالذهب التى كانت تنعم بالترف والرفاهية والرخاء، تحولت لمدن منهارة خاوية محطمة، وتدور أحداث الأسطورة حول هروب " هيلانة " إبنة الأغريق مع عشيقها " باريس الطروادى "، مما أدى إلى اشتعال نيران الحرب بين الطرفين. كما أنه لم يجهل فى حديثه دور القائد المغوار "عوليس "، أحد قادة حرب طروادة،الذى أفنى حياته فى هذه الحرب المستغرقة عشرة سنوات، وما جلبته هذه الحرب من معاناة وشقاء له ولجيشه، عبر صراعاته ومحاولاته؛ للبحث عن الوطن والعودة إليه، تلك هى الأخرى التى استمرت أيضا عشرة سنوات، وقد عبرت هذه الأبيات (حسن فلتكظم غيظك يا " عوليس " ، ولتدفن رأسك فى شرنقة الجهل) عن نفسه المشتعلة بالآهات والتمزق النفسى والغارقة فى العار.

❖ **أسطورة أودويسيوس**[١] :

جنح لها الشاعر فى مواضع كثيرة، ومن هذه المواضع قصيدة " قصائد إلى سلوى " من ديوان " وشم على نهدى فتاة " ، حيث قال : [٢]

نهارى عاصب عينيه يا " سلوى "
وليلى ما له آخر !
شريد الخطو .. أرتاد المدى وحدى
فمن درب إلى درب
ومن بلد إلى آخر !
بعيد الدار يا "سلوى "
جوادى ما له حافر !
حزين النفس يا " سلوى "
سقيم الوجه والعينين والخاطر !
أذوق المر من قلب

استوحى الشاعر أسطورة " أدويسيوس " أو " عوليس " للتعبير عن حالة التشرد والنفى والضياع، التى يعانى منهما الشاعر داخل وطنه المحتل، فتقنع بشخصية أدويسيوس، الذى كان رمزا لصراع الإنسان ومعاناته بعيداً عن وطنه، كما اتخذ من " بنيلوب " زوجة أدويسيوس معادلا موضوعيا لـ " سلوى " التى ترمز إلى الوطن، وكان هناك بعض التراكيب التى جسدت لنا نفسه المضطربة، المشبعة

(١) أودويسيوس : ابن لايرنيس ملك إيثاكا ، وزوج بنيلوبى ، وكان من أشهر أبطال الأغريق ؛ إذ فاقهم فى الصيت ، وكان أيضا أحد قادة طروادة ، وله الفضل فى إسقاط مدينة طروادة ، بابتداع حيلة الحصان الخشبى ، ولكن كان تطن فى آذانه عند ذهابه إلى حرب طروادة النبوءة المخزتة القائلة بأنه سوف لا يرجع إلى بلده إلا بعد عشرين عاما ويكون وحيدا مجهول الشخصية فاقدا جميع سفنه ورفاقه ، وقد تحققت هذه النبوءة بالفعل . أمين سلامة ، معجم الأعلام فى الأساطير اليونانية والرومانية ، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر ، ١٩٨٨ ، صـ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) ديوان حسن طلب، المجلد الأول، صـ ٣٧ ،٣٨ .

بالقهر، والعدم، والواقعة تحت وطأة السأم والفجيعة، من مثل (شريد الخطو، أذوق المر، سقيم الوجه والعينين والخاطر، نهارى عاصب العينين، وليلى ما له آخر) .

ثالثا : الأساطير الفينيقية والبابلية :

حظيت الأساطير البابلية والفينيقية بشهرة كبيرة فى الِشعر العربى، فعشتار كانت رمزا للخصوبة والحيوية والجمال، وتموز كان رمزا لعودة الحياة من جديد، حيث مثل موت تموز وانبعاثه موت الطبيعة فى الخريف وعودتها إلى الخصب فى الربيع؛ولذا كانت من الرموز المستخدمة فى دلالات الموت والانبعاث، فوجد فيهماالشعراء رمزا لإشعال الثورة والمقاومة؛ لولادة حياة جديدة، وانتهاء عهد الظلم والطغيان .

❖ **أسطورة تموز :**

استعان الشاعر بـ" أسطورة تموز" [١] فى أكثر من موضع فى شعره، ومن بين هذه المواضع قصيدته " فى عروبة البنفسج " من ديوان " سيرة البنفسج "، حيث يقول : [٢]

يستطيع البنفسج أن يستهل ...
ويصنع خبر الوفاق!
.....
كيف لا يستطيع ؟
كيف ؟ وفى كفه قمح مصر

---

(١) أسطورة تموز : هى أسطورة بابلية تحكى عن الآله تموز زوج إلالهة عشتار ، الذى كان بديلاً لزوجته الإلهة عشتار فى العالم السفلى فى سبيل تحريرها من العالم السفلى ، وعودتها للحياة ، فقبلت عشتار بتسليم تموز ، وأن يحل محلها فى العالم السفلى ستة أشهر ، تبدأ بشهر تموز وتموت أثنائها الزراعة والماشية وينتشر القحط ويغادر بعدها ذلك العالم إلى عالم الأحياء، أي أنه يعاد إلى الحياة، وتعود الزراعة والخير معه ، وتأخذ مكانه اخته للفترة نفسها ثم يعود تموز إلى عالم الأموات . قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، سومر وآكاد وآشور ، الكتاب الرابع ، الموت والبعث والحياة الأبدية ، دار الساقى ، لبنان ، ٢٠٠١ ، صـ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) ديوان حسن طلب ، المجلد الثانى، صـ ٥٥ ، ٥٦ .

نفط الخليج .. وتمر العراق !
كانت الأرض صومعة
والسماوات من فوقها : سعة
والبنفسج يطلع فى أفقها مرة كل عام !

الشاعر فى معرض حديثه عن من يجمع شمل الوطن العربى من التفرق والغرق فى الظلام والسواد الحالك ، ويزيل الغمة ويشحذ همم ولاة أموره، فنجده يرى فى رمزه البنفسجي هذه القدرة الجبارة على لم شمل من تفرقوا ، وتوطيد الوشائج والأواصر، ورفع صروف الدهر عن الوطن العربى، حيث أضفى عليه صفات أسطورية، جعلته يلتقى مع الإله تموز، الذى يأتى فى الربيع من كل عام، وبمجيئه تنتفض الطبيعة من جدبها وتنتعش، وتتلون بالخضرة، والرياض، وهواطل الأمطار، وتتفشى فيها كل مظاهر الجمال، حيث إنه رمز النماء والخصب، وتأتى علامات التعجب؛ لتظهر مدى دهشته وتعجبه من قدرة البنفسج الفائقة، تلك الزهرة الذابلة من كثرة الشقاق والوباء الذى تفشى فى الوطن العربى، كما أنه توضح مدى تملك اليأس والإحباط من نفس الشاعر، عبر اتخاذه البنفسج الحل الأمثل لتشتت الوطن العربى.

" فلا يستطيع هذا التاريخ المجازى أن يغير التاريخ الحالى والآتى الذى يسير نحو مصيره، لتنغلق دائرة القمع الحاضرة والمستقبلية على الماضى، مما يجعل من هذه الرموز حيلة وخديعة من خدع اللغة، وفعلا عبثيا، ونقشا ومحوا، وإرجاءا وتعطيلا، ومراوغة لطعنة وحس الحقيقة اللولبية، أو أسطورة القمع التى تتلبس أقنعة الحقيقة وتحكم الدائرة حول تأرجح المجاز " [١] .

(١) التناص فى شعر شعراء السبعينيات، صـ ٢١٥ بتصرف .

❖ **أسطورة عشتار**[١] :

ومن القصائد التى استحضر فيها حسن طلب أسطورة عشتار قصيدة " أبى والحسناء والحديقة " من قصيدة " وشم على نهدى فتاة " ، قائلا : [٢]

ولكن كان ما قد كان
ومات الحلم يا حسناء فى صدرى
وجف النبع منذ هجرت مزرعتى
وغاض النيل ...والكوثر !

يستلهم الشاعر أسطورة عشتار فى إطار حديثه عن مصر وما كانت عليه من طبيعة ساحرة خلابة، ونيلاً صافيا، وأشجارا وأنهارا، أرضا خضراء، وشمسا مشرقة، وما آلت إليه من صحراء جدباء، وبقايا ديار، يلفها الظلمة والوحشة، فنجده يشبهها بمحبوبته، التى حلم معها بهذا الحلم سويا وبهذه الحديقة، وعملا على بهائها وإشراقها، إلا إنها أبت، وتركته فى منتصف الطريق، ومات معها الحلم، ومات معها كل شىء، وهنا يأتى دور الأسطورة التى استعان بها الشاعر – أسطورة عشتار – حيث أضفى على محبوبته من صفات عشتار الأسطورية، تلك التى فى غيابها ونزولها للعالم السفلى تعطلت الحياة، وجفت الأنهار، ونضبت المياه، وماتت الأرض والأشجار، وهددت الكائنات بالفناء، فهى رمز الأخصاب فى الحياة، وقد عبر " لفظ

---

(١) عشتار البابلية هى إنانا السومرية ، وهى أفروديت اليونانية ، عرفت بأنها إلهة الحب بجميع أنواعه : الحب الطاهر والماجن ، إنها العشيقة والقرينة، ويرمز إليها فى عالم السماء بكوكب الزهرة ، فكانت إلهة الحب والجمال ، وإلهة الإغراء ، وتعددت مغامراتها الغرامية مع الآلهة والبشر . كما كانت إلهة الخصب التى كانت مسؤلة عن أرحام البشر والحيوانات ، وعن خصب الأرض ومصدر الحياة ، وبنزولها إلى العالم السفلى كانت سبباً فى تعطيل الخصب والحياة الجنسية على الأرض . قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، سومر وآكاد وآشور ، الكتاب الثالث ، الحضارة والسلطة ، دار الساقى ، لبنان ، ٢٠٠١ ، صـ ٢٤١ ،٢٤٢ ، ٢٤٣ . وأيضا . قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، سومر وآكاد وآشور ، الكتاب الأول ، أناشيد الحب السومرية ، دار الساقى ، لبنان ، ١٩٩٦ ، صـ ١٠٤

(٢) ديوان حسن طلب ، المجلد الأول ، صـ ٢١ .

الكوثر " عن مدى شدة الهلاك الذى حل بمصر، وأرق مضاجعها، فلم ينضب النيل فقط بل أيضا نهر الكوثر .

❖ **أسطورة طائر الفينيق أو العنقاء :**

ونلمح أسطورة طائر الفينيق [١] فى قصيدته " تنويع " من ديوان " متتالية مصرية "، قائلا : [٢]

وتشرع عند احتراق الرفات
تطهرك النار من سلكا
لتبعث من بين كوم الرماد
صحيحك أزرى بمعتلكا

يتحدث الشاعر عن الحاكم المتخاذل، والمتواطئ ضد شعبه، الذى كان رمزاً للظلم والغدر والخيانة، وامتدادا للذل والانكسار والانحناء، الغارق فى لهوه وترفه، الذى يسعى دوما إلى تغييب عقول شعبه، وعصب أعينهم،وهنا يستدعى أسطورة طائر الفينيق الذى يبنى لنفسه محرقة، ومن رماده ينبثق عنقاء أخرى، فيأمل الشاعر أن يأتى جيل مدركا لمأساة وطنه، فيتصدى له، ويزعزع ملكه، ويعمل على حرق كل قيمه، ومعتقداته، وأفكاره الفاسدة المتفشية فى أرجاء الوطن، ويتطهر معها هذا الحاكم من كل سوءاته، وتبعث من رماده حياة جديدة، وشحض جديد يحمل قيما نبيلة، متلهف على وطنه، عاشق لترابها، قادر على انتشال شعبه من عذاباته وآلامه وشقائه، ساعيا إلى إعادة كيانها المنهار .

---

(١) العنقاء طائر ينبثق من نفسه ، فهو كائن خرافى عرفه الآشوريون واليونان ، وحين يتم من حياته خمسمائة عام يبنى لنفسه عشاً بين أزهار البلوط ،وعلى قمة نخلة ، ويجمع فيه أزهار الطيب ، ثم يشيد لنفسه من ذلك محرقة يضع نفسه فوقها ، ويلفظ أنفاسه بين أريجها ، ومن جسده تنبثق عنقاء أخرى ، يكون أول عمل لها حين تشب وتقوى ، أن تحمل جسد يلفها بعد لفه بالعش المعطر ، ثم تطير إلى معابد مدينة هليوبلس بمصر وتشعل فيه النار . الأسطورة والموروث الشعبى فى شعر وليد سيف ، ديانا ماجد حسين ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، فلسطين ، ٢٠١٣، صـ١١١.

(٢) ديوان حسن طلب ، المجلد الثالث، صـ٥٦٣ ،٥٦٤ .

❖ **أساطير الموت والانبعاث :**

طفق الشعراء المعاصرون يستلهمون دلالات الموت والانبعاث من الأساطير بكافة أنواعها : العربية، والبابلية والفينيقية، واليونانية، منذ فترة الخمسينيات، تعبيرا عن إحساساتهم المفعمة بالأمل، واليقظة، والنهضة، تلك التى أفرزتها جميع الأحداث السياسية التى شهدها الوطن العربى بأجمع .

فدائما ما كان يصور الإنسان البدائى وأساطيره، فكرة التغلب على الموت عبر اختلاقه لأساطير بدت فيها ظاهرة الانبعاث بعد الموت جلية، باعتبارها هى الوسيلة لمواجهة الموت الذى أنهكه وأتعبه على مر الزمان، فظهرت أسطورة طائر الفينيق، وأسطورة بروميثوس، وأسطورة تموز، وأسطورة أوزيريس، وغيرهم .

وهذا ما نجده أيضا عند حسن طلب فى دواوينه فى إطار تعبيره عن القضايا السياسية، ومن ذلك قوله فى قصيدته " أنشودة الحب والموت والجوع " من ديوان " وشم على نهدى فتاة " : (١)

قولى ورائى
واضغطى عند النداء على الشفاه :
ولد الجنين .. ومات عند الفجر !
فلتحى الحياة إذن
ويحى الموت من أجل الحياة !

يربط الشاعر هنا بين الموت والحياة، فموت الجنين على يد الاحتلال الذى انتهك الأرض، والتهم الخيرات، كان بمثابة الإشعال للهيب الثورة ضد الطغاة، وبعث حياة جديدة، وفجر جديد، وجاءت تراكيبه (ولد الجنين .. ومات عند الفجر – ويحى الموت من أجل الحياة) معبرة عن روح الثورة والمقاومة، وولادة حياة جديدة .

(١) ديوان حسن طلب ، المجلد الأول، صـ ٨٣ .

وفى موضع آخر من قصيدة " الطوفان .... الطوفان " من ديوان " مواقف أبى على وديوان رسائله وبعض أغانيه " ، يقول: (١)

فإن هو إلا كالسرطان !
لنا أن نستأصله
ونموت به
فنحقق بالموت الميلاد

فهذا الطوفان سيكون بداية لحياة جديدة، وعهد جديد، ومستقبل أكثر إزدهارا وإشراقا، فسيجرف معه كل نفايات هذا العهد، ويقتلع كل جذور الفساد .

الخـاتمـــة:

مما تقدم من دراسة تبين لنا مجموعة من النتائج أهمها:

١- كانت الأسطورة الملاذ للشاعر للإنتصار على خيباته ولتخطى مواجعه، كما كانت محاولة لخلق بديل جديد، أكثر إشراقا وجمالا ، فقد شكلت حالة توازن نفسى مع محيطه مجتمعه فيها تمت عملية الحكم والتخيل والاستنكار لدى شاعرنا.

٢- اهتم بالشخصيات الأسطورية إضافة إلى اهتمامه بالأسطورة عامة لأن الشخصية الأسطورية توصى من خلال توظيفها فى القصيدة بما فى الأسطورة من دلالات وتكثيف للمعنى المطلوب.

٣- تعامل مع الأساطير لوعى لا نظير له وبقدرة يحسد عليها فى مجال التمثيل والفهم فلم يخرجها إلا بعد أن تمكن منها .

٤- حاول التكثيف والتركيز ونبذ المباشرة والتقريرية ليجعل من القصيدة عالما من الإسرار والرموز.

٥- إن استخدام الأسطورة فى الشعر هى محاولة من الشاعر للوصول بالقصيدة إلى البعد الإنسانى العام، وبالتالى إكسابها بعدا أعمق، ومجالا أفسح، وتتجاوز الحاضر إلى الزمان المطلق، فتتعدى بذلك الوعى الذاتى إلى الوعى الجماعى.

---

(١) ديوان حسن طلب ، المجلد الثانى، صـ٢٩١ .

٦- فقد احتلت الأسطورة مقاما هاما فى الشعر العربى الحديث، ولم يعد استخدامها وفقا على رمزيتها، بل تجاوز ذلك إلى نوع من التوحد تصل إلى درجة الذوبان داخل النص الشعرى، ولقد وظف الشاعر محموعة من الأساطير مثل أسطورة السندباد رمز المغامرة والإخطار والبحث عن المجهول وأسطورة بروميثيوس الذى حاول الانتصار للبشر، وأسطورة أودويسيوس رمزا للتشرد والنفى والضياع .

٧- ولقد كان استدعاء الشاعر لهذه الأساطير فى إطار معالجة كثير من الجوانب السياسية والتاريخية فى مصر والوطن العربى ، فكانت رموزا للتجوال والمغامرة، والانتظار والخلاص، ممثلة فى هذه الأساطير، عبر من خلالها عن حالة القلق والانتظار التى عاشتها مصر والوطن العربى، فصار انتظار المخلص وتفاؤل الشاعر بميلاد يوم جديد، الهدف الوحيد الذى يسعى إليه الشاعر، وكانت المعجزة المطلوبة عنده هى الخلاص من هذا الحال (القلق والانتظار) للوصول إلى حالة جديدة تقوم على التفاؤل والأمل والخلاص.

ثبت المصـــادر والمراجـــع

أولا : المصادر

١. إنجيل الثورة وقرآنها : (١- آية الميدان)؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م .
٢. إنجيل الثورة وقرآنها : (٢- إصحاح الثورة)؛ المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.
٣. الأعمال الشعرية، حسن طلب، المجلس الأعلى للثقافة، المجلد الأول، ط١، ٢٠١٤م.
٤. الأعمال الشعرية، حسن طلب، المجلس الأعلى للثقافة، المجلد الثانى، ط١، ٢٠١٦م.
٥. الأعمال الشعرية، حسن طلب، المجلس الأعلى للثقافة، المجلد الثالث، ط١، ٢٠١٦م.

ثانيا: المراجع

٦. أمين سلامة، معجم الأعلام فى الأساطير اليونانية والرومانية، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر ،ط١،١٩٨٨.
٧. باسل عبدالعال، رمزية الزهور فى الشعر العربى المعاصر، جريدة القدس العربى،٢٠١٥.
٨. جلال الدين السيوطى(د.ت). نزهة الجلساء فى أشعار النساء، القاهرة: مكتبة القرآن للطباعة والنشر.
٩. ديانا ماجد حسين، الأسطورة والموروث الشعبى فى شعر وليد سيف(رسالة ماجستير)، جامعة النجاح، فلسطين،٢٠١٣.
١٠. رمضان الصباغ، فى نقد الشعر العربى المعاصر (دراسة جمالية)، الأسكندرية،دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر،٢٠٠٢.
١١. سعيد توفيق، ماهية الشعر(قراءات فى شعر حسن طلب)، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة،١٩٩٩.

١٢. سعيد على الخصوصى، ألف ليلة وليلة، المطبعة السعيدية، المجلد الثالث.
١٣. شوقى عبدالحكيم، مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، بيروت، دار بن خلدون،١٩٨٧.
١٤. عبدالعاطى كيوان، التناص الأسطورى فى شعر محمد إبراهيم أبو سنة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،٢٠٠٦.
١٥. عبدالمعطى شعراوى، أساطير إغريقية(أساطير البشر)، القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٩٥.
١٦. على عشرى زايد، استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربى،١٩٩٧.
١٧. فاطمة قنديل، التناص فى شعر شعراء السبعينيات، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة،١٩٩٨.
١٨. قاسم الشواف، ديوان الأساطير، سومر وآكاد وآشور، الكتاب الرابع، الموت والبعث والحياة الأبدية، لبنان، دار الساقى،٢٠٠١.
١٩. محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها العربية، تونس، محمد على للنشر والتوزيع،١٩٩٤.
٢٠. محمد غنيمى هلال. النقد الأدبى الحديث، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر،٢٠٠٥.
٢١. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير فى الأدب الشعبى، القاهرة، دار نهضة مصر،١٩٧٤ .